الدب
مزحة فى فصل واحد

مهداة إلى
ن.ن. سولوفتسوف

شخصيات المسرحية

يلينا إيفانوفنا بوبوفا	أرملة شابة بغمّازتين
فى خديها، إقطاعية	
جريجورى ستيبانوفيتش	
سميرنوف	إقطاعى غير عجوز
لوقـــا	خادم بوبوفا، عجوز

ـ غرفة الجلوس فى ضيعة بوبوفا

١

(بوبوفا ـ فى ثياب الحداد الكاملة، لا تحول عينيها عن صورة فوتوغرافية ـ ولوقا).

لـــــوقــــــا: لا يجوز يا سيدتى.. تقتلين نفسك وحسب.. الخادم والطاهية ذهبتا لجمع الثمار، وكل حىٍّ يفرح، حتى القطة تدرك ما يسرها فتتنزه فى الفناء، وتصيد فروخ الطيور، وأنت تجلسين فى الغرفة طول النهار، وكأنك فى دير، بدون أى متعة. نعم، حقا! سنة تقريبا مرت ولم تخرجى من البيت..!

بــو بــو فـــا : ولن أخرج أبدا..لماذا؟ حياتى قد انتهت. هو ممدد فى

القبر، وأنا دفنت نفسى بين أربعة جدران..نحن الاثنان متنا.

لــــو قـــــا : يا سلام! دعيك من هذا الكلام، حقا! نيكولاى ميخايلوفتش توفى، فليكن، هكذا مشيئة الله. عليه الرحمة..كفاك حزنا، والتفتى إلى نفسك. لن تقضى العمر كله فى البكاء وملابس الحداد. أنا أيضا ماتت عجوزى من سنين.. فماذا فعلت؟ حزنت وبكيت شهرا، وكفاها ذلك. فلو أنى قضيت الدهر أشكو فإن العجوز لا تستحق ذلك. (**يتنهد**) نسيت جميع جيرانك.. لا تزورين أحدا ولا تسمحين باستقبال أحد. نعيش، عفوا، كالعناكب، لا نرى الدنيا. الفئران أكلت بدلة الخدمة..طيب، هذا مفهوم لو لم يكن هناك أشخاص طيبون، ولكن الإقليم ملىء بالسادة..وفى ريبلوف يعسكر فوج حربى والضباط كقطع الحلوى، لا تشبع العين منهم! وفى المعسكرات كل جمعة حفل راقص، وكل يوم تقريبا تعزف الفرقة العسكرية..آه يا سيدتى يا مولاتى! شابة، جميلة، قشطة وتفاح.. ما عليك إلا أن تعيشى على كيفك.. الجمال لا يدوم! ستمر عشر سنوات وبعدها تشائين أن تخطرى كطاووس لتفتنى السادة الضباط، ولكن لا، سيكون الوقت متأخرا.

بــو بـــو فـــا : (**بحزم**) أرجوك ألا تحدثنى عن ذلك أبدا! أنت تعرف

أنه منذ وفاة نيكولاى ميخايلوفتش فقدت الحياة بالنسبة لى أى قيمة. يبدو لك أننى أعيش، ولكن هذا يبدو فقط! لقد قطعت على نفسى عهدا ألا أنزع ثياب الحداد أو أرى الدنيا حتى المات.. هل تسمع؟ فلير ظله كيف أحبه.. نعم أنا أعرف، ليس سرا عليك أنه كثيرا ما كان يظلمنى، ويقسو علىّ و.. وحتى لم يكن مخلصا، ولكنى سأظل وفية له حتى القبر، وسأثبت له كيف أصون الحب. وهناك، وراء القبر، سيرانى كما كنت قبل وفاته..

لـــــوقـــا: بدلًا من هذا الكلام اخرجى أفضل إلى البستان وتمشى قليلا، أو مرى بتسريج «توبى» أو «عملاق» وانطلقى إلى الجيران فى زيارة..

بـــوبـــوفـــا: آه!..(**تبكى**)

لـــــوقـــا: سيدتى..مولاتى! ماذا بك؟ حرام عليك!

بـــوبـــوفـــا: كم كان يحب «توبى»! كان يركبه دائما لزيارة آل كورتشاجين وآل فلاسوف. كم كان يسوسه بروعة! أى رشاقة كانت فى هيئته عندما كان يشد اللجام بكل قوته! هل تذكر؟ توبى، توبى! مرهم أن يقدموا له اليوم حصة شعير زيادة.

لـــــوقـــا: حاضر!

(جرس حاد)

بـــوبـــوفـــا: **(تنتفض)** من هذا؟ قل لهم إننى لا أستقبل أحدًا!

لـــــــوقــــــا: حاضر! **(ويخرج)**

٢

(بوبوفا وحدها)

بـــوبـــوفـــا: **(تنظر إلى الصورة)** سترى يا Nicolas كيف أصون الحب وكيف أغفر..لن ينطفئ حبى إلا بانطفائى، عندما يتوقف قلبى المسكين **(تضحك من خلال الدموع)** ألا تستحى؟ أنا زوجتك المخلصة، المطيعة، حبست نفسى بالمفتاح وسأبقى وفية لك حتى القبر، وأنت..ألا تستحى يا بطوطة؟ كنت تخوننى، وتثير المشاجرات وتتركنى وحدى أسابيع كاملة..

٣

(بوبوفا ولوقا)

لـــــــوقــــــا: **(يدخل، قلقًا)** سيدتى، هناك شخص ما يطلبك. يريد أن يراك..

بـــوبـــوفـــا: ألم تقل له إننى لا أستقبل أحدًا منذ وفاة زوجى؟

لـــــــوقــــــا: قلت، ولكنه لا يريد أن يسمع، يقول: أمر ضرورى جدا.

بـــوبـــوفـــا: أنا لا أستـ.. ـقـ.. ـبل!

لـــــوقـــــا: قلت له، ولكنه.. مثل شيطان.. يشتم ويندفع إلى الغرفة.. هو الآن فى غرفة الطعام..

بـــوبـــوفـــا: (**بعصبية**) حسنا، أدخله..قلة أدب!

(**لوقا يخرج**)

يالهم من ثقلاء، هؤلاء الناس! ماذا يريدون منى؟ لماذا يقلقون سكونى؟ (**تتنهد**) حقًا، يبدو أنه لا مفر من دخول الدير..(**تستغرق فى التفكير**) نعم، الدير..

٤

(**بوبوفا ولوقا وسميرنوف**)

ســمــيرنــوف: (**داخلًا، مخاطبا لوقا**). مغفل، تهوى الكلام الكثير.. حمار! (**يرى بوبوفا فيقول باعتزاز**) سيدتى، أتشرف بتقديم نفسى: ملازم المدفعية المتقاعد، مالك الأراضى جريجورى ستيبانوفتش سميرنوف! مضطر إلى إزعاجك لمسألة هامة للغاية..

بـــوبـــوفـــا: (**دون أن تمد له يدها**) أى خدمة؟

ســمــيرنــوف: كان المرحوم زوجك، الذى تشرفت بمعرفته، مدينًا لى بألف ومائتى روبل قيمة كمبيالتين. ولما كنت مضطرًا إلى تسديد فوائد البنك العقارى غدًا، لذا أرجوك ياسيدتى أن تدفعى لى المبلغ اليوم.

بـــوبـــوفـــا: ألف ومائتان..وكيف أصبح زوجى مدينا لكم؟

سـمـيرنـوف: كان يشترى منى شعيرًا.

بـوبـوفـا: **(متنهدة، مخاطبة لوقا)** إذن لا تنس يا لوقا أن تأمرهم بإعطاء «توبى» حصة شعير زيادة. **(لوقا ينصرف. مخاطبة سميرنوف)** إذا كان نيقولاى ميخايلوفتش مدينا لكم فسوف أرد لكم الدين بلا شك. ولكن، عفوا، أرجوك، ليس معى اليوم نقود زيادة. بعد غد سيعود وكيل أعمالى من المدينة وسآمره بأن يدفع لكم المبلغ المطلوب، أما الآن فلا أستطيع أن أستجيب لرغبتكم.. وعلاوة على ذلك فقد انقضى اليوم سبعة أشهر بالضبط على وفاة زوجى، أنا فى حالة مزاجية لا تجعلنى مستعدة أبدًا للاهتمام بمسائل مالية.

سـمـيرنـوف: وأنا الآن فى حالة مزاجية بحيث إذا لم أسدد الفوائد غدًا فسأطير فى ستين داهية. سيحجزون على ضيعتى!

بـوبـوفـا: ستحصل على نقودك بعد غد.

سـمـيرنـوف: أنا بحاجة إلى النقود اليوم، لا بعد غد.

بـوبـوفـا: عفوا، ولكنى لا أستطيع أن أدفع اليوم.

سـمـيرنـوف: وأنا لا أستطيع الانتظار إلى بعد غد.

بـوبـوفـا: وما العمل، ليس عندى نقود الآن!

سـمـيرنـوف: إذن لا تستطيعين أن تدفعى؟

بـوبـوفـا: لا أستطيع..

سـمـيرنـوف: إم... هذا آخر كلام؟

بـوبـوفـا: نعم، آخر كلام.

سـمـيرنـوف: آخر كلام؟ أكيد؟

بـوبـوفـا: أكيـد.

سـمـيرنـوف: مع جزيل الشكر. فلنسجل فى المحضر **(يهز كتفيه)** وبعد هذا يريدون أن أكون بارد الأعصاب! قابلنى الآن، وأنا قادم، محصل الضرائب فسألنى: «لماذا أنت غاضب دائما يا جريجورى ستيبانوفتش؟» حنانيك، وكيف لا أغضب؟ أنا بحاجة ماسة إلى النقود.. رحلت من البيت منذ صباح أمس، فى الفجر، ومررت على جميع مدينىَّ، فلو أن واحدًا منهم فقط رد دينه! تبهدلت ككلب، والشيطان يعلم أين بت الليل.. فى حانة يهودية قذرة، بجوار برميل فودكا..وأخيرا أصل إلى هنا، على مسافة سبعين كيلو مترا من بيتى، على أمل الحصول على نقود، فإذا بهم يضيفوننى «مزاجيات»! فكيف لا أغضب إذن!

بـوبـوفـا: أعتقد أننى قلت بوضوح عندما يعود وكيل أعمالى من المدينة ستحصل على النقود.

سـمـيرنـوف: أنا لم أجئ إلى وكيل الأعمال، بل إليك! ما حاجتى إلى وكيل أعمالك، عليه اللعنة، وعفوا على هذا التعبير!

بـورفـا: عفوا يا سيدى المحترم، أنا لم أتعود على هذه الكلمات الغريبة، وهذه النبرة. لن أصغى إليك بعد. **(تخرج بسرعة)**.

٥

(سميرنوف وحده)

سـمـيرنـوف: أما غريبة! مزاجى.. منذ سبعة أشهر مات زوجى! وأنا، هل ينبغى علىّ أن أسدد الفوائد أم لا؟ إننى أسألك: هل ينبغى أن أسدد الفوائد أم لا؟ حسنا، أنت زوجك مات، ومزاجك يعنى وخلافه.. وكيل أعمالك رحل إلى مكان ما، فلتحفظه الشياطين، ولكن ماذا تأمريننى أن أفعل؟ أركب منطادا لأهرب من الدائنين أم ماذا؟ أم أجرى وأضرب رأسى فى الحائط؟ جئت إلى جروزديف فإذا به غير موجود، وياروشيفتش اختبأ، أما كوريتسين فقد تشاجرت معه إلى حد العراك وكدت ألقى به من النافذة. مازوتوف عنده نزلة معوية، وهذه عندها مزاج. لا يدفع منهم ولا لئيم واحد! كل ذلك لأننى دللتهم أكثر من اللازم، لأننى بريالة، خرقة، امرأة! أنا معهم رقيق أكثر من اللازم! طيب، مهلا!! ستعر فون من أنا! لن أسمح بالمزاج معى، يا للشيطان! سأبقى هنا ولن أتحرك حتى تسدد! بررر!.. كم أنا مغتاظ اليوم، كم أنا مغتاظ! من الغيظ ترتعش فرائصى وانحبست أنفاسى.. أف، يا إلهى، بل يغمى علىَّ (**يصيح**) يا ولد!

٦

(سميرنوف ولوقا)

لــــــوقـــــا: (**يدخل**) ماذا تريدون؟

ســمــيرنــوف: هات كفاسًا أو ماد!

(لوقا يخرج)

يا سلام، يا للمنطق! أنت بحاجة ماسة إلى النقود، حتى لتفكر فى الانتحار، أما هى فلا تدفع لأنها، بسلامتها، غير مستعدة للاهتمام بالمسائل المالية!.. منطق نسائى فعلًا، منطق هوانم! ولهذا بالذات لم أحب أبدًا ولا أحب أن أتحدث مع النساء. من الأسهل علىَّ أن أجلس على برميل بارود من أن أتحدث مع امرأة. بررر!.. حتى بدنى يقشعر.. إلى هذا الحد أغاظنى ذيل الفستان هذا! ما إن أرى، ولو من بعيد، المخلوق الشاعرى حتى تصاب سمانتا ساقى بالتقلص من شدة الغيظ.. شىء يجنن.

٧

(سميرنوف ولوقا)

لــــــوقـــــا: (**يدخل ويقدم ماء**) السيدة مريضة ولا تستقبل أحدًا.

ســمــيرنــوف: امش!

(لوقا يخرج)

مريضة ولا تستقبل! لا داعى، لا تستقبلى.. سأبقى، وسأظل جالسًا هنا حتى تردى النقود. إذا مرضت أسبوعًا سأبقى هنا أسبوعًا.. إذا مرضت سنة،سأبقى سنَة..سآخذ حقى يا سيدتى! لن تؤثر فىَّ ثياب الحداد أو الغمازات فى الخدود..نحن نعرف هذه الغمازات! **(يصيح فى النافذة)** سيميون، فك العدة! لن نرحل قريبا! سأبقى هنا! قل لهم فى الإصطبل أن يقدموا الشعير للخيول! مرة ثانية يا حيوان تشتبك الفرس اليسرى فى السيور! **(مقلدا)** «بسيطة»..سوف أريك «بسيطة»! **(يبتعد عن النافذة)** يا للسوء!.. الحر لا يطاق، ولا أحد يدفع، ونمت نوما سيئا ليلة الأمس، وعلاوة على ذلك هذا الذيل الحدادى والمزاج.. رأسى مصدع.. هل أشرب فودكا؟ نعم، سأشرب. **(يصيح)** يا ولد!

لـــــــوقـــــــا: **(يدخل)** ماذا تريدون؟

ســمــيرنــوف: هات كأس فودكا!

(لوقا يخرج)

أف! **(يجلس ويتفحص نفسه)** يا سلام، ما أجملها هيئة! الغبار يغطيك، والحذاء قذر، والوجه غير مغسول، والشعر غير ممشط، وعلى الصديرى قش.. ربما تكون

الهانم قد اعتبرتنى قاطع طريق. **(يتثاءب)** ليس من التهذيب إلى حد ما الدخول إلى غرفة الجلوس فى منظر كهذا، ولكن لا بأس..أنا لست ضيفا هنا، أنا دائن، وليس ضروريا للدائن أن يهتم بمظهره..

لـــــوقــــــا: **(يدخل ويقدم الفودكا)** إنك تسمح لنفسك بالكثير ياسيدى...

ســمــيرنــوف: **(بغضب)** ماذا؟

لـــــوقــــــا: أنا.. لا أقصد.. أنا يعنى..

ســمــيرنــوف: مع من تتكلم؟! اخرس!

لـــــوقــــــا: **(جانبًا)** بلينا بهذه المصيبة، أى شيطان رماه علينا..

(لوقا يخرج)

ســمــيرنــوف: آه، كم أنا مغتاظ! مغتاظ لدرجة يخيل لى فيها أننى قد أسحق الدنيا كلها... حتى إنه يغمى علىَّ... **(يصيح)** يا ولد!

٨

(بوبوفا وسميرنوف)

بـــوبـــوفـــا: **(تدخل خافضة البصر)** سيدى المحترم، لقد نسيت فى عزلتى منذ وقت طويل الصوت البشرى ولا أتحمل الصياح. أرجوك رجاء حارًا ألا تزعج سكونى.

ســمــيرنــوف: ادفعى لى النقود وسأرحل.

بـــوبـــوفـــا: لقد قلت لكم باللغة الروسية: ليس معى الآن نقود زيادة. انتظر حتى بعد غد.

ســمــيرنــوف: وأنا أيضا تشرفت بالقول لكم باللغة الروسية: أنا بحاجة إلى النقود اليوم لا بعد غد. إذا لم تدفعى لى اليوم فسيكون علىّ غدا أن أنتحر.

بـــوبـــوفـــا: ولكن ما العمل إذا لم يكن معى نقود؟ شىء غريب!

ســمــيرنــوف: إذن فلن تدفعى الآن؟ كلا؟

بـــوبـــوفـــا: لا أستطيع..

ســمــيرنــوف: فى هذه الحالة سأبقى هنا وسأظل جالسًا حتى أحصل على النقود.. **(ويجلس)** ستدفعين بعد غد؟ ممتاز! سأجلس هكذا إلى بعد غد. هكذا سأبقى جالسا... **(يقفز واقفا)** إننى أسألك: هل علىّ أن أدفع الفوائد غدًا أم لا؟.. أم تظنين أننى أمزح؟

بـــوبـــوفـــا: أرجـوك يا سيدى المحترم، لا تـصرخ! ليس هذا إسطبلا!

ســمــيرنــوف: أنا لا أسألك عن الإسطبل بل هل ينبغى علىّ أن أدفع الفوائد غدًا أم لا؟..

بـــوبـــوفـــا: أنت لا تعرف كيف تتصرف وسط النساء!

ســمــيرنــوف: لا، بل أعرف كيف أتصرف وسط النساء!

بـــوبـــوفـــا: كلا، لا تعرف! أنت شخص غير مهذب، فظ! الناس المحترمون لا يتكلمون هكذا مع النساء!

سـمـيرنـوف: آه، شيء مدهش! كيف تأمرين بالكلام معك؟ بالفرنسية يعنى؟ **(يغتاظ ويقول ماطا شفتيه)** مدام، جى فوى برى.. كم أنا سعيد بعدم ردك النقود لى.. آه، باردون إذا كنت أزعجتك! ما أروع الطقس اليوم! وهذا الحداد لائق جدا عليك! **(يحك قدميه بالأرض محييا)**

بـوبـوفـا: هذا سخيف وفظ.

سـمـيرنـوف: **(مقلدًا)** سخيف وفظ! أنا لا أعرف كيف أتصرف وسط النساء! سيدتى، لقد رأيت فى حياتى نساء، أكثر بكثير مما رأيت أنت عصافير! تبارزت ثلاث مرات من أجل النساء، هجرتُ اثنتى عشرة امرأة وهجرتنى تسع نساء! نعم! وكانت هناك فترة كنت فيها أتحامق، وأتسامح، وأتعاسل، وأفرش نفسى بساطًا، وأحك الأرض بقدمى.. كنت أحب، أتعذب، أتنهد متأملًا القمر، وأضعف، وأذوب، وأفـتر.. كنت أحب بجنون، بوجد، وبشتى الصور، وكنت أثرثر كالوقوق، فليخطفنى الشيطان، عن تحرير المرأة، وأنفقت على هذه المشاعر الرقيقة نصف أموالى، أما الآن فاعفونى! الآن لن تخدعننى! كفى! العيون السود، العيون المشبوبة، الشفاه الوردية، غمازات الخـدود، القمر، الهمس، الأنفاس المترددة... كل ذلك لا أدفع مقابله الآن يا

سيدتى قطعة خردة! أنا لا أقصد الحاضرات، ولكن كل النساء، من أصغرهن إلى أكبرهن، متدللات، متغنجات، متقولات، حسودات، كذوبات حتى النخاع، هوجاوات، تافهات، قاسيات القلب، منطقهن يثير السخط، أما فيما يخص هذا الشىء **(يضرب على جبينه)** فاعذرينى على الصراحة، فإن أصغر عصفور يكسب من أى فيلسوف فى تنورة عشر نقاط مقابل صفر! أحيانا تنظر إلى بعض هذه المخلوقات الشاعرية، فترى أمامك حريرًا، أثيرًا، نصف إلهة، مليون صيحة إعجاب، فإذا نظرت إلى روحها، وجدت تمساحا عاديا! **(يمسك بمسند كرسى فيطقطق الكرسى ويتحطم)** ولكن أكثر ما يثير السخط أن هذا التمساح يتصور لسبب غير معروف أن الشعور الرقيق هو تحفته وامتيازه واحتكاره! يا للشيطان، يا للعنة، علقونى من ساقى فى هذا المسمار إن كانت المرأة تعرف كيف تحب أحدًا غير كلاب البولونيز! وهى فى الحب لا تعرف إلا الشكوى والدموع! وبينما يتعذب الرجل ويضحى نجد حبها لا يتجلى إلا فى هزها لذيل فستانها وسعيها إلى إحكام القبضة على الأنف. من سوء حظك أنك امرأة، وبالتالى تعرفين من واقع حالتك طبيعة النساء. فلتخبرينى بصدق، هل رأيت فى حياتك امرأة صادقة،

مخلصة، وفية؟ لم ترى! المخلصات والوفيات هن العجائز والدميات وحدهن. الأسهل أن تجدى قطة بقرون أو دجاجة غابة بيضاء من أن تجدى امرأة وفية!

بــوبـــووفـــا: اسمح لى، فمن إذن فى رأيك مخلص ووفى فى الحب؟ أهو الرجل؟

ســمــيرنــوف: نعم، الرجل!

بــوبـــوفـــا: الرجل! **(تضحك بغيظ)** الرجل مخلص ووفى فى الحب! يا له من خبر! **(بحرارة)** بأى حق تقول هذا؟ الرجال مخلصون وأوفياء! طالما هكذا دعنى أقل لك إنه من بين جميع الرجال الذين عرفتهم وأعرفهم كان المرحوم زوجى هو الأفضل.. كنت أحبه بوجد، بكل كيانى، كما تقدر أن تحب امرأة شابة مفكرة. وهبته شبابى وسعادتى وحياتى ومالى، كنت أعيش على أنفاسه، وأصلى له كوثنية و.. و.. ماذا؟ كان هذا الأفضل يخدعنى فى كل خطوة بصورة فى غاية الدناءة! بعد وفاته وجدت فى مكتبه درجا مليئا كله بالخطابات الغرامية، وأثناء حياته ـ من الفظاعة أن أتذكر! ـ كان يتركنى وحدى أسابيع كاملة، وأمام عينى يغازل النساء الأخريات ويخوننى، ويبعثر نقودى ويهزأ بمشاعرى.. ورغم كل ذلك أحببته وأخلصت له.. بل والأكثر من ذلك أننى ما زلت مخلصة له ووفية حتى بعد وفاته. لقد

دفنت نفسى إلى الأبد فى هذه الجدران الأربعة، ولن أنزع ثياب الحداد إلى الممات..

سـمـيرنـوف: **(يضحك باحتقار)** الحداد!.. لا أعرف من تتصورينني؟ وكأنما أنا لا أدرى لأى غرض ترتدين هذا الثوب الأسود وتدفنين نفسك بين أربعة جدران! ولِمَ لا! فهذا شىء غامض، شاعرى! ربما يمر بجوار داركم طالب حربى ما أو شاعر تافه فينظر إلى نوافذك ويفكر: «هنا تعيش تمارا الغامضة، التى دفنت نفسها بين أربعة جدران حبًا فى زوجها». نحن نعرف هذه الملاعيب!

بـوبـوفـا: **(منفجرة)** ماذا؟ كيف تجرؤ على أن تقول هذا لى؟

سـمـيرنـوف: دفنت نفسك بين أربعة جدران، ومع ذلك لم تنسى أن تضعى البودرة!

بـوبـوفـا: كيف تجرؤ على الكلام معى بهذا الشكل؟

سـمـيرنـوف: لا تصرخى من فضلك، أنا لست خوليك! واسمحى لى أن أسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية. أنا لست امرأة، وقد تعودت أن أعرب عن رأيى بصراحة! لا تصرخى إذن أرجوك!

بـوبـوفـا: لست أنا التى تصرخ بل أنت! أرجوك دعنى وشأنى!

سـمـيرنـوف: ادفعى لى دينى وأنا أذهب.

بـوبـوفـا: لن أدفع لك شيئا.

سـمـيرنـوف: بل ستدفعين!

بــوبــوفــا: نكاية فيك لن تحصل على كوبيك واحد! يمكنك أن تدعنى وشأنى!

سـمـيرنـوف: من حسن حظى أننى لست زوجك أو خطيبك، ولذلك أرجوك لا تفتعلى مشاجرة. **(يجلس)**. أنا لا أحب هذا.

بــوبــوفــا: **(تختنق غيظا)** أنت تجلس؟

سـمـيرنـوف: جلست.

بــوبــوفــا: أرجوك اخرج!

سـمـيرنـوف: هاتى الفلوس.. **(جانبا)** أوه، كم أنا مغتاظ، كم أنا مغتاظ!

بــوبــوفــا: أنا لا أريد أن أتكلم مع وقح! تفضل، غُر من هنا!

(صمت)

بــوبــوفــا: ألن تخرج؟ لا؟

سـمـيرنـوف: لا.

بــوبــوفــا: لا؟

سـمـيرنـوف: لا!

بــوبــوفــا: طيب! مهلا! **(تدق الجرس)**.

٩

(هما ولوقا)

بــوبــوفــا: لوقا، أخرج هذا السيد!

لــــوقــــا: **(يقترب من سميرنوف)** يا سيد، تفضل بالخروج عندما تؤمر! هيا من هنا..

سـمـيرنـوف: **(يقفز واقفا)** اخرس! مع من تتكلم! سأصنع منك سلاطة!

لـــــوقـــــا: **(يضع يده على قلبه)** يا ربى!.. الحقونى!.. **(ينهار على كرسى فوتيل)** آه، دخت، دخت! نَفَسى انكتم!

بـــوبـــوفـــا: أين داشا؟ داشا! **(تصيح)** داشا! بيلاجيًّا! داشا! **(تدق الجرس)**.

لـــــوقـــــا: أوه! ذهبن لجمع الثمار.. لا أحد فى البيت.. أنا دايخ! ماء!

بـــوبـــوفـــا: تفضل وغر من هنا!

سـمـيرنـوف: ألا تتفضلين بأن تكونى أكثر أدبًا؟

بـــوبـــوفـــا: **(تعصر قبضتيها وتدق بقدميها)** أنت فلاح، دب غليظ! جلف! وحش!

سـمـيرنـوف: ماذا؟ ماذا قلتِ؟

بـــوبـــوفـــا: قلت إنك دب، وحش!

سـمـيرنـوف: **(مهاجما)** لو سمحتِ، بأى حق تهينيننى؟

بـــوبـــوفـــا: نعم أهينك.. وماذا بعد؟ أتظننى أخافك؟

سـمـيرنـوف: وأنت تظنين أنك إذا كنت مخلوقا شاعريًا يكون من حقك أن تهينى الناس دون عقاب؟ نعم؟ إلى الحاجز!

بـــوبـــوفـــا: يا ربى.. الحقونى.. ماء!

سـمـيرنـوف: لنتبارز!

بـــوبـــوفـــا: إذا كان لديك قبضات ضخمة وحلق ثور فلعلك تظن أننى أخشاك؟ هه؟ أيها الجلف المتوحش!

سـمـيرنـوف: إلى الحاجز! لن أسمح لأحد بإهانتى ولن أراعى أنك امرأة، مخلوق ضعيف!

بـوبـوفـا: **(تحاول أن يطغى صياحها على صياحه)** دب! دب! دب!

سـمـيرنـوف: حان الوقت للتخلى عن الفكرة المتحيزة، بأن الرجال وحدهم هم الذين ينبغى أن يدفعوا ثمن الإهانة! المساواة إذن المساواة، بحق الشيطان! إلى الحاجز!

بـوبـوفـا: تريد أن نتبارز؟ تفضل!

سـمـيرنـوف: فورًا!

بـوبـوفـا: فـورًا! ترك زوجى بعده مسدسات.. سآتى بها.. **(تنصرف بسرعة ثم تعود)**. بأى تلذذ سأرسل رصاصة إلى جبينك النحاسى! فليخطفك الشيطان! **(تخرج)**.

سـمـيرنـوف: سأرديها مثل كتكوت! أنا لست صبيا، لست جروا عاطفيا، لا توجد بالنسبة لى مخلوقات ضعيفة!

لـوقـا: يا سيدى الرحيم!.. **(يجثو على ركبتيه)** اصنع معروفا، ارأف بحالى أنا العجوز واذهب من هنا! أرهبتنى حتى الموت، وتريد أن تتبارز!

سـمـيرنـوف: **(لا يصغى إليه)** التبارز، هذه هى المساواة والتحرير! كلا الجنسين هنا متساويان! سأرديها كمبدأ! يا لها من امرأة! **(يقلدها)** «فليخطفك الشيطان.. سأرسل *رصاصة إلى جبينك النحاسى..*» *يا لها من امرأة!*

احمرت تماما، وعيناها تلمعان.. قبلت التحدى! أقسم بشرفى، أول مرة أقابل فيها امرأة كهذه.

لـــــوقـــــا: يا سيدى، اذهب! دعنى أصلى لك طول عمرى!

ســمـيرنـوف: هذه امرأة! امرأة حقيقية! هكذا النساء! ليست خائرة ولا مغفلة، بل نار، بـارود، صـاروخ! بل إن قتلها مؤسف!

لـــــوقـــــا: **(يبكى)** يا سيدى.. يا مولاى.. أرجوك اذهب!

ســمـيرنـوف: إنها تعجبنى بالتأكيد! أكيد! رغم غمازات خديها تعجبنى! مستعد حتى للتنازل عن الدين.. والغيظ انتهى.. امرأة مدهشة!

١٠

(هما وبوبوفا)

بـــوبـــوفـــا: **(تدخل حاملة مسدسين)** ها هى المسدسات..ولكن قبل أن نتبارز أرنى، لو تكرمت، كيف أطلق النار.. أنا لم أمسك مسدسًا فى يدى من قبل.

لـــــوقـــــا: رحتمك يا رب، أنقذنا.. سأذهب لأبحث عن البستانى والحوذى.. من أين نزلت هذه المصيبة على رؤوسنا.. **(يخرج)**.

ســمـيرنـوف: **(يفحص المسدسين)** فى الواقع، توجد عدة أنواع من المسدسات.. توجد مسدسات «مورتيمير» المخصصة

للمبارزات، بكبسولة. وهذان المسدسان من طراز سميث وفيسون، ثلاثى الحركة، بملقط، مركزى الضرب.. مسدسان رائعان!.. ثمن المسدسين تسعون روبلا على الأقل.. ينبغى الإمساك بالمسدس هكذا.. **(جانبًا)** عيناها! امرأة لاهبة!

بـــوبـــوفـــا: هكذا؟

ســمــيرنــوف: نعم، هكذا.. ثم ترفعين الزناد..وتصوبين هكذا.. الرأس إلى الوراء قليلا! مدى يدك جيدا.. نعم، هكذا.. ثم بهذا الإصبع تضغطين على هذه القطعة..ولا شىء أكثر.. القاعدة الرئيسية: ألا تستعجلى وأن تسددى على مهل.. وحاولى ألا تهتز ذراعك.

بـــوبـــوفـــا: حسنا..المبارزة فى الغرفة غير مريحة، لنذهب إلى البستان.

ســمــيرنــوف: لنذهب.. لكنى أخطرك بأنى سأطلق النار فى الهواء.

بـــوبـــوفـــا: لم يكن ينقص إلا هذا! لماذا؟

ســمــيرنــوف: لأنه..لأنه..هذا يخصنى!

بـــوبـــوفـــا: هل جبنت؟ نعم؟ آه!.. لا يا سيد، لا تخاتل! تفضل واتبعنى! أنا لن أهدأ حتى أثقب جبينك.. هذا الجبين الذى أمقته! جبنت؟

ســمــيرنــوف: نعم، جبنت.

بـــوبـــوفـــا: كذاب! لماذا لا تريد أن تتبارز؟

سـمـيرنـوف: لأنه.. لأنك.. تعجبيننى.

بـوبـوفـا: **(تضحك بغيظ)** أنا أعجبه! ويجرؤ على أن يقول إننى أعجبه! **(تشير إلى الباب)** تفضل!

سـمـيرنـوف: **(يضع المسدس فى صمت ويتناول عمرته ويتجه نحو باب الخروج. يتوقف هناك، وينظر كل منهما إلى الآخر حوالى نصف دقيقة فى صمت. ثم يقول وهويقترب مترددًا من بوبوفا)** اسمعى.. أما زلت غاضبة؟.. أنا أيضا مستثار كالمسعور، ولكن أتدرين.. كيف أوضح لك.. القضية أنه، لو تعلمين.. شىء من هذا القبيل فى الواقع..**(يصيح)** طيب، وما ذنبى أنا إذا كنت تعجبيننى؟ **(يمسك مسند كرسى فيطقطق الكرسى ويتحطم)** يا للشيطان، ما هذا الأثاث السهل الكسر لديك! أنت تعجبيننى! أتفهمين؟ أنا.. أنا تقريبا وقعت فى حبك!

بـوبـوفـا: ابتعد عنى.. إننى أمقتك!

سـمـيرنـوف: يا إلهى، أى امرأة! لم أر فى حياتى مثل هذا أبدا! ضعت! هلكت! وقعت فى المصيدة، كالفأر!

بـوبـوفـا: ابتعد عنى وإلا أطلقت النار!

سـمـيرنـوف: أطلقى! أنت لا تستطيعين أن تدركى سعادة الموت تحت نظرة هذه العيون الساحرة، الموت بمسدس تمسك به هذه الذراع الصغيرة المخملية.. أنا جننت! فكرى وقررى

الآن، لأنى لو خرجت من هنا فلن نلتقى أبدا! قررى.. أنا نبيل، رجل مستقيم، دخلى عشرة آلاف فى السنة.. أستطيع أن أصيب بالمسدس قطعة نقود ملقاه فى الهواء.. عندى خيول ممتازة.. هل تريدين أن تكونى زوجتى؟

بــوبــوفــا: **(بسخط، تلوح بالمسدس)** فلنتبارز! إلى الحاجز!

ســمــيرنــوف: أنا جننت..لا أفقه شيئا.. **(يصيح)** يا ولد، هات ماء!

بــوبــوفــا: **(تصيح)** إلى الحاجز!

ســمــيرنــوف: جننت، وقعت فى حبها كصبى، كأحمق! **(يطبق على يدها فتصرخ من الألم)** أنا أحبك! **(يركع على ركبتيه)** أحبك كما لم أحب أبدا من قبل! هجرت اثنتى عشرة امرأة، وتسع نساء هجرننى، ولكنى لم أحب واحدة منهن كما أحبك..أصبحت بلا إرادة، تراخيت، تخدرت.. أركع على ركبتى كأحمق وأطلب القرب..يا للعار، يا للفضيحة! خمس سنوات لم أحب، قطعت عهدا على نفسى، وفجأة وقعت كنير المحراث فى صندوق الغير! أطلب القرب. نعم أم لا؟ لا تريدين؟ لا داعى! **(ينهض ويتجه إلى الباب بسرعة)**.

بــوبــوفــا: انتظر..

ســمــيرنــوف: **(يتوقف)** حسنا؟

بــوبــوفــا: لا شىء، اذهب.. طيب انتظر.. كلا، اذهب، اذهب! أنا أمقتك! لكن لا.. لا تذهب! آه، لو تعلم كم أنا

مغتاظة، كم مغتاظة! **(تلقى بالمسدس على الطاولة)** أصابعى نمَّلت من هذا القرف.. **(تمزق منديلها غيظا)** ما لك واقف؟ غر من هنا!

سميرنوف: وداعا.

بوبوفا: نعم، نعم، اذهب!.. **(تصيح)** إلى أين؟ انتظر..طيب، اذهب. آه، كم أنا مغتاظة! لا تقترب منى، لا تقترب!

سميرنوف: **(مقتربا منها)** كم أنا مغتاظ من نفسى! وقعت فى الحب كتلميذ، وركعت على ركبتى.. إن بدنى يقشعر.. **(بخشونة)** أنا أحبك! كما لو كنت بحاجة إلى أن أحبك! علىّ غدا أن أسدد الفوائد، والحصاد بدأ، وأنت هنا.. **(يطوق خصرها)** لن أغفر لنفسى هذا أبدا..

بوبوفا: ابتعد عنى! ارفع يديك! أنا أ.. أمقتك! إلى الحـ..ا.. جز!

(قبلة طويلة)

١١

(هما ولوقا يحمل فأسا، البستانى بمجرفة والحوذى بمذراة وعمال يحملون العصى).

لوقا: **(يرى الاثنين يتبادلان القبلات)** يا ربى!..

(صمت)

بوبوفا: **(تخفض بصرها)** لوقا، قل لهم هناك فى الإسطبل ألا يقدموا اليوم الشعير لتوبى إطلاقا.

(ستار)